الإسكندر

وحلم لم يكتمل

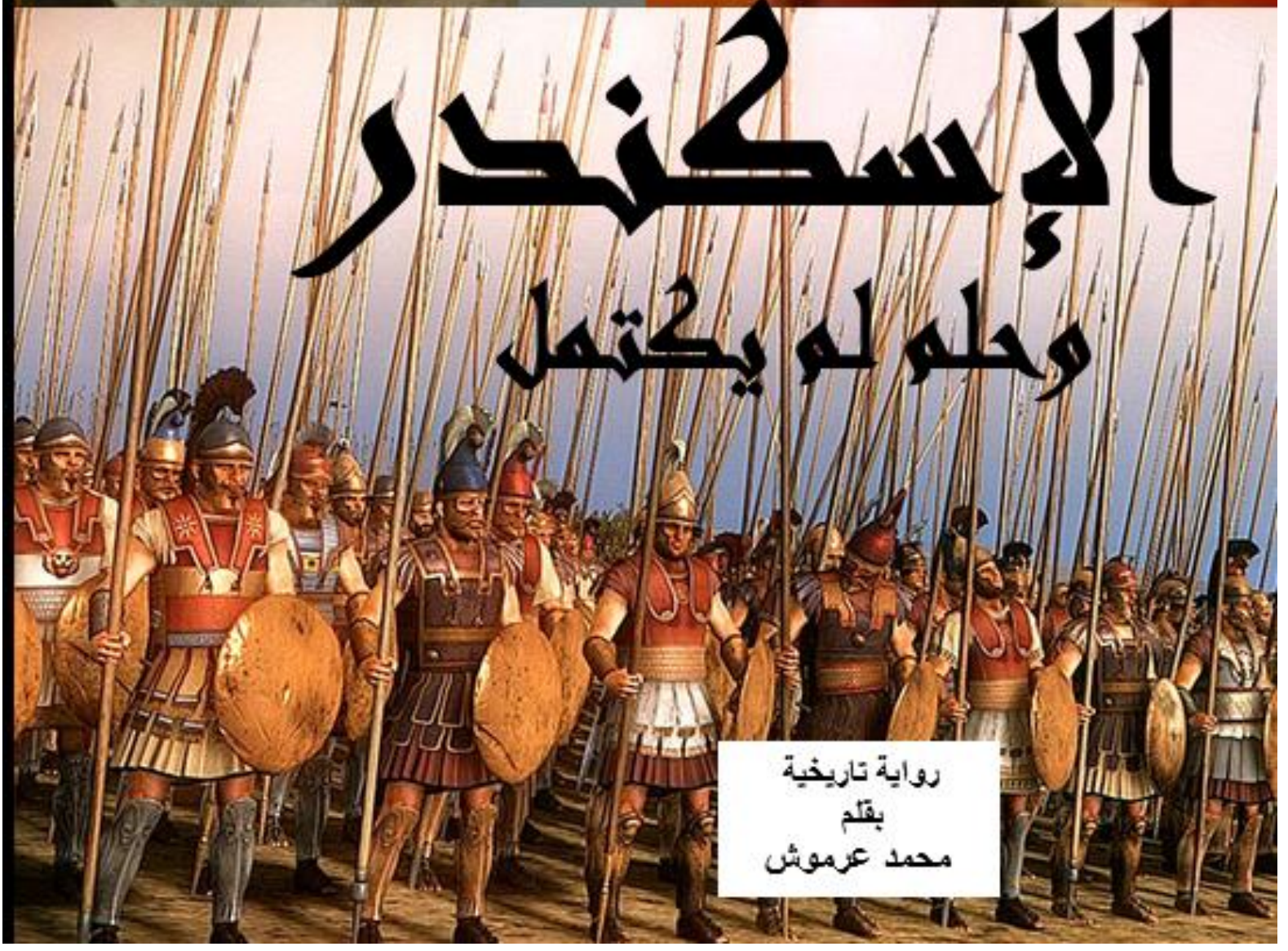

رواية تاريخية

بقلم

محمد عرموش

الإسكندر

وحُلم لم يكتمل

Alexander

An unfinished dream

رواية تاريخية

historical novel

بقلم

محمد عرموش

النشأة

نشأ بطل قصتنا منذ أن كان طفلًا كإبن ملك ، ولكن ليس كأي ابن ملك ، فشب وترعرع في مملكة أبيه ، إلي أن أصبح علي دراية بجميع أحوال المملكة التي كانت مملكة مركزية ومتنوعة ومتزايدة الاتساع ، وتُدار انطلاقًا من عاصمة يعيش فيها داخل القصر الملكي ، في القسم المخصص للسُكني ، حيث كان القصر يحتوي علي أقسام أخري يتم فيها أمور أخري وليست للسكن ، وكان بطلنا يتلقي تعليمًا يليق بولي للعهد ووريث للعرش

ولأن والده كان من الملوك المحاربين ، فقد اعتاد الفتي علي سماع أصوات طبول الحرب وصهيل الخيل باستمرار ، كما اعتاد رؤية آثار إراقة الدماء علي صفائح السيوف وأسنة الرماح ، وكم تابع خروج الحملة تلو الأخري ، والجحافل تتبع بعضها بعضًا

وكان طابع المملكة المادي قوة مهمة في تكوين مَلِك ، يتعيَّن عليه تجريد حملات طوال السنة ، متحملًا درجات حرارة تصل إلي حد التجمد شتاءً ، وخصوصًا في الجبال ، وقيظ الصيف الذي تتجاوز فيه درجة الحرارة ٤٠ درجة مئوية ، ونظرًا لإمكانية استخدام العدو وديان الأنهار والممرات الجبلية كنقاط يغزو منها المملكة ، كان من الضروري أن يعرف هذه الملامح الطبيعية جيدًا ، وكان الحفاظ علي الأمن في المناطق الجبلية العليا من المملكة يؤدي إلي مواجهات خطيرة مع حيوانات مفترسة ورعايا ساخطين ، وقد كان بطلنا يتميز كباقي أفراد عائلته بالبراعة في الصيد البري

وكانت الدراية بالأنهار تتطلب عبورها عند اللزوم ، إذن فبطل قصتنا لم يتركه والده ليعيش حياة التنعم في القصر بل دفعه للتدريب علي الحياة الشاقة ، ليشتد عوده وتزداد خبرته ، ويتأهل لحكم المملكة عن جدارة

الحلم :

وبدأت هذه القصة في القرن الثالث قبل الميلاد ، ودارت أحداثها في مملكة تقع شمال بلاد الإغريق ، وهي مملكة مقدونيا ، التي كان يحكمها في ذلك الوقت ملك من الملوك الشجعان المخضرمين ، اسمه الملك فيليب الثاني وهو والد بطل قصتنا الأول الإسكندر الثالث ، فهو ثالث من سُمي بهذا الاسم في تلك الأسرة المالكة التي تحكم مملكة مقدونيا

وكان الملك فيليب الثاني يحلم بالسيطرة علي بلاد الإغريق ، أما ابنه وولي عهده الإسكندر الثالث فقد كان يحلم بالسيطرة علي العالم كله

وكان هدف فيليب من السيطرة علي بلاد الإغريق هو الزحف شرقًا بعد ذلك للانتقام من الفرس حيث كانت الدولة الفارسية قد أغارت علي بلاد الإغريق من قبل وأهانت مقدساتها ، وكانت الدولة الفارسية هي أقوي دولة في العالم في ذلك الوقت ، لذلك قرر فيليب أن يوحد بلاد الإغريق بالكامل تحت قيادته حتي يتمكن من حشد جيش ضخم يتمكن به من هزيمة الفرس

أما ابنه الإسكندر بطل قصتنا فكان هدفه من السيطرة علي العالم هو ضم جميع دول وبلاد العالم لتصبح دولة واحدة أو قل إمبراطورية واحدة ويصبح هو ملكها أو إمبراطورها وحاكمها الأوحد ، ولا شك أن حلم فيليب كان حلمًا صغيرًا بالنسبة لحلم ابنه الإسكندر ، ولكن إذا تم تحقيقه سيكون ذلك خطوة في طريق تحقيق حلم ابنه

وكانت بلاد الإغريق أي اليونان تُقسِّمُها سلاسل جبلية تعوق وحدتها لتكوّن كيان سياسي واحد ، فتشكلت من عدة دويلات كل منها عبارة عن مدينة قائمة بذاتها ، فكان نظام دويلات المدن هو محور الحضارة الإغريقية ، وكان الإغريق يرون أن نظام (دولة المدينة) ، هو النظام الأمثل ، الذي ينبغي للإنسان الحر أن يعيش في كنفه ، وكانوا ينظرون إلي من يعيشون في ظل أنظمة أخري ، نظرة لا تخلو من الإحساس بالتعالي ، وكانت (أثينا) و (إسبرطة) من أشهر دويلات المدن في بلاد الإغريق وتقعان في الجنوب منها

أما مدينة (طيبة) فكانت تقع في قلب بلاد الإغريق ، وقد لعبت تلك المدينة القديمة دورًا رئيسيًا في التاريخ اليوناني، حيث ظهرت في العديد من الأساطير اليونانية التي كان الإسكندر مهووس بها ،. كما كانت منافسًا رئيسيًا لأثينا القديمة ، وقد تطورت الحياة السياسية في مدن الإغريق وعرف بعضها النظام الديمقراطي ، بينما ظلت مقدونيا بدائية ومحافظة ويشعر سكانها بالدونية عندما يقارنون أحوالهم وحضارتهم بشعوب بلاد الإغريق المتكبرين

ولنترك الإغريق المتكبرين في مدنهم ولنتوجه إلي القصر الملكي في مدينة (بيلا) عاصمة مقدونيا حيث يجلس الإسكندر بطل قصتنا مع أصدقاءه المقربين (بطليموس بن لاجوس) و(برمانيون) و (هيفايستيون) ، يتحدثون حديث الأصدقاء

حيث بدأ برمانيون الحديث موجهًا كلامه للإسكندر قائلًا :

– هل سمعت بالإنتصارت الإخيرة التي حققها والدك مولانا الملك العظيم فيليب ؟

فرد الإسكندر بضيق :

– إذا ظل أبي يكسب مزيدًا من المعارك ، فلن يتبقي لي بلاد أفتحها

– لا تقلق يا صديقي فالعالم كله في انتظارك ، أليس ذلك حلمك ؟

– بلي ، وسوف أحققه يومًا ما كما وعدت معلمنا المبجل السيد أرسطو

فقال هيفايستيون وهو صديق الإسكندر الحميم

– أيهما أقرب إلي قلبك مولانا الملك فيليب أم المعلم المبجل أرسطو ؟

فصمت الإسكندر لفترة ثم رد قائلًا :

– إذا كان أبي الملك فيليب هو من وهبني الحياة ، فإن معلمي أرسطو هو من علمني كيف أحيا ، وقد أخبرتني أمي أن أبي ليس من البشر ، بل هو الإله آمون زيوس صاحب معبد سيوة في مصر

– وهل ستذهب إلي ذلك المعبد يومًا ما ؟

– بالتأكيد سأفعل

فقال بطليموس :

– بمناسبة الحديث عن علاقتك بكل من مولانا الملك فيليب ، وأستاذنا المبجل أرسطو ، فأنا لا أنسي ما حييت ما قاله لك والدك يوم أن سيطرت علي الحصان الذي عجز الجميع عن السيطرة عليه

فقال أحدهم :

– أنا لا أتذكر جيدًا تفاصيل ذلك الموقف فهل تكرمت بسرد تلك القصة الطريفة

فقال بطليموس :

– ألا تتذكر عندما جاء أحد تجار الخيول المدعو (فيلونيكوس) الثيسالي ، وأحضر معه لمولانا الملك فيليب حصانًا أسودًا جميلًا ، وزعم أنه وحيد زمانه

– بلي ، تذكرت ، لقد طلب فيه مبلغًا باهظًا

– نعم لقد طلب ثلاثة عشر (تالنت) ، وقد لاحظ مولانا الملك فيليب أن الحصان كان وحشيًا ، لم يسبق لأحد أن امتطاه

– لقد رفض الملك أن يشتريه ، بل لم يسمح لأحد بالاقتراب منه ، ولكن الإسكندر اقترب منه وقال : يا لجمال هذا الحصان الذي ترفضونه بسبب عجزكم عن الاقتراب منه أو ركوبه

فقال برمانيون موجهًا كلامه للإسكندر :

– إن ما قلته قد أغضب والدك الملك

فقال الإسكندر :

– لقد قلت يومئذٍ الحقيقة ، وكما تعرفون هذا االحصان قد أصبح حصاني المفضل حتي الآن

– ولكنك يومها تحديت مولانا الملك وقلت أنك تستطيع أنت أن تقترب منه وتركبه ، فاشترط عليك أنك إن لم تتمكن من تنفيذ ما تقول ستدفع ثمنه بالكامل من مالك الخاص

فقال الإسكندر :

– لقد كان واضحًا بالنسبة لي يومها أن الحصان كان قد أصابه الاضطراب عندما اقترب من الجمع الملكي ، بعددهم الكبير، وملابسهم المزركشة فكانت عيناه تنتقلان في قلق بينهم ، وبين ظل الشمس إلي جواره ، ولهذا اقتربت منه بحذر

فقال بطليموس مستكملًا القصة :

– وبعد أن اقترب الاسكندر من الحصان أخذ يربت عليه ، ثم قاده بعيدًا عنهم ، وأداره عن الشمس ، ثم أخذ يربت عليه مرة أخري ، ويهمس في أذنه ، حتي هدأ ، فامتطاه وقاده نحو الأفق ، حتي إذا اطمئن له ، وهدأ ، عاد به راكضًا إلي الجمع المحتشد ، وهنا علا هتاف الحاضرين للاسكندر

وتقدم مولانا الملك فيليب من الاسكندر فعانقه بعد نزوله من علي الحصان ، وقال له

(ابحث لنفسك يا بني عن مملكة أخري تليق بك ، فإن مقدونيا أصغر من أن تتسع لك)

وكما تعرفون لقد أطلق الاسكندر علي جواده اسم (بوكيفالاس)

فقال الاسكندر :

– من ساعتها لازمني بوكيفالاس دائمًا وسوف أطلق اسمه حتمًا يومًا ما علي أحد المدن

كان الإسكندر يستمد الخيال من أمه والقوة من أبيه والحكمة من معلمه أرسطو ، وكان كَلِفًا بمطالعة منظومات شاعر الإغريق الشهير (هوميروس) صاحب الإلياذة ، واستكتب منها نسخة نقحها له أستاذه أرسطو ، فكان يحملها معه حيثما توجَّه ، وكانت أنيسه في حله وترحاله يترنم ببدائعها ويتمثل بها كلما عنَّ له من الأقوال والأفعال ، ولطالما كانت تعروه هزة الطرب إذا أنشد بعض أبياتها ، ولا سيما بيته القائل بوصف الملك الإغريقي أغاممنون :

مليكٌ بأحوال السياسة عارفٌ عزوم بصماء المعامع جبّارُ

ومن مأثور أقواله عندما وقف يومًا علي قبر (آخيل) بطل الإلياذة :

– طوباك فقد أوتيت منتهي السعادة بقيام شاعر كهوميروس بتخليد ذكرك

وهكذا كان الإسكندر مولع بأشعار هوميروس وأساطير الإغريق وأبطالهم ، أما البطل الحقيقي الذي ليس أسطورة ، والذي كان يراه بشحمه ولحمه ويري بطولاته وانتصاراته فهو والده فيليب

وإذا تأملنا شخصية فيليب سنجدها من الشخصيات التي يندر تكرارها علي مر التاريخ

وكان فيليب قد أُرسِل في أحد الصراعات القديمة ، وهو في سن الخامسة عشرة كرهينة إلي طيبة "بإقليم بوتويا" حتي أقام ثلاث سنوات ، وقد أفاد من هذه الإقامة التي هذبت من طباعه القومية الموروثة التي تتسم بشئ من البدائية والخشونة ، فقد كان المقدونيون علي الرغم من تأثرهم بمظاهر الثقافة الإغريقية لا يزالون أمة غير متمدينة ، وقد وافقت إقامته وقتًا كانت فيه طيبة زعيمة لبلاد الإغريق عسكريًا وسياسًا "٣٧١-٣٦٢" ق . م وهكذا سنحت له الظروف أن يتزود حينئذ بقسط كبير من الثقافة الأدبية والمعرفة العسكرية إذ تردد علي نواديها التربونية ، وشاهد ترساناتها وخبر أنواع أسلحتها ، وكان هؤلاء جميعًا نماذج بالنسبة لفيليب وقدوة ، ومبعث إلهام له وحافزًا علي أن يجعل من بلاده إن لم تكن هللينية الطراز فعلي الأقل شبيهة بالدول الهللينية والحقبة الهيلينية هي الفترة المتأخرة من تاريخ الحضارة الإغريقية، وقد ازدهرت في الفترة المسماة العصر الكلاسيكي

كما حرص فيليب علي أن يحرز لنفسه مكانة مرموقة كمكانة زعماء طيبة وقادتها الذين كانوا إلي جانب همتهم العالية وذكائهم المفرط يجمعون في ثقافتهم بين المعرفة العسكرية والمعرفة الفلسفية والأدبية

وفي الواقع أن مقدونيا –كما يروي المؤرخ ليفيوس– لم تنل حظًا من الشهرة إلا منذ عهد فيليب الثاني ، فقد بدأ بتنظيم شئون بلاده الداخلية ، وجدد الأمة بأن شد النبلاء بدرجة أكبر إلي القصر دون أن يحرمهم من امتيازاتهم الأساسية ، فقرر فيليب أن يتلقي أبناء هؤلاء الأقران مع أمراء البيت المالك تعليمًا مشتركًا في البلاط الملكي ، وقصر عليهم المناصب والرتب الكبري مما أبقاهم علي مقربة منه ، لقد جعل منهم صفوة مختارة متميزة تتمتع بامتيازات أكثر من قبل ، وأما الفلاحون الأحرار فعلي الرغم من بقائهم مرتبطين بقبائلهم وزعمائهم المحليين بروابط الولاء القديمة ، إلا أن انخراطهم في سلك الجندية كمشاة رفع من قدرهم وزاد من اعتزازهم القومي وجعلهم يشعرون شعورًا أقوي بانتمائهم إلي وطن واحد أو أمة واحدة ، وهنا نلمس ما كان للجيش المقدوني من أثر وفضل في دعم وحدة الأمة ، لقد كان الفخر بالمجد القومي هو ما يحرك هذه الهيئة المحاربة ، ولما كان الملك ذاته قد صار رمزًا تتجسد فيه آمال الوطن ، فإن هذا الشعور لم يكن منفصلًا عن الولاء لشخص الملك وأسرته ، كانت خدمة الملك هي واجب كل مقدوني ومناط

فخره ، وكان علي الملك بدوره أن يخدم المقدونيين ويقودهم بوصفه زعيمًا أو حتي سيدًا ، لكن دون أن ينسي أنه يقود رجالًا أحرارًا يقاسمهم أعباءهم مثلما يقاسمونه هم مجده

ولعل أعظم مقومات نجاح فيليب –بغض النظر عن كفايته الفطرية– هو استيلاؤه علي أمفيبوليس في عام ٣٥٧ ، وعلي مناجم الذهب في جبل بنجايوس عبر الحدود الطراقية ، كانت أمفيبوليس –التي تقع علي الضفة الشرقية من نهر ستريمون ولا تبعد عن البحر بأكثر من ثلاثة أميال – مدينة طراقية الأصل – استعمرها الأثينيون عام ٤٣٧ –ثم استسلمت المدينة لأسبرطة عام ٤٢٤ ولم يستطع الأثينيون استردادها برغم ما بذلوه من جهود عسكرية ودبلوماسية ، فظلت المدينة مستقرة ، وكانت أمفيبوليس تسيطر علي الممر المؤدي إلي طراقيا حيث يقع أيضًا علي الضفة الشرقية من النهر – وفيليب هو أول ملك مقدوني ينتزع هذه المنطقة الغنية ويضمها إلي ممتلكاته ، وقد وطد سيطرته عليها بتأسيس مدينة فيها تحمل اسمه وهي مدينة فيليبي عام ٣٥٨ ق م

هذه المناجم درت علي فيليب دخلًا سنويًا ضخمًا ، وصار هذا الدخل دعامة لسلطته إذ مكنه من ربط بلاده بشبكة من الطرق ، وإنشاء جيش قومي دائم لأول مرة في تاريخ بلاده ، يتألف من جنود محترفين كان أعظم من أي قوة عُرِفت حتي ذلك الحين

(ومن طيبة اقتبس فيليب تنسيق الحركة بين المشاة والفرسان والفصل الحركي بين جناحي الجيش بحيث أن أحدهما كان للهجوم والآخر للدفاع ، ولم يقتصر فيليب علي تدريب هذه القوات عسكريًا ، بل درب رجالها علي المشي بخطوات سريعة لمسافات طويلة ، وهم حاملون عتادهم ومؤونتهم ، وأخضعهم لنظام من الضبط والربط الصارم ، وشجعهم علي الاشتراك في المباريات الرياضية ، وكان في وسع فيليب إذا اقتضت الظروف ، أن يُلحق آلات حصار فعالة بهذه القوة المقاتلة

هكذا ابتدع الملك المقدوني نظامًا عسكريًا أكثر تعقيدًا وجيشًا قوميًا أكثر كفاية من نظام وجيش أغني دولة في أوروبا وأقواها عسكريًا

وعندما بلغ ابنه الإسكندر السابعة عشرة ، قرر فيليب أن الوقت قد حان لتدريبه علي الحكم . فأسند إليه مهمة تصريف الأمور في مقدونيا ، عندما اضطر إلي التوجه جنوبًا في بلاد اليونان ، وفي تلك الأثناء انتهزت إحدي القبائل الفرصة وأعلنت التمرد ، مستغلة حداثة سن الاسكندر ، إلا أنه قمع هذا التمرد بعنف ، واستولي علي أكبر المدن التي تقع في أرض هذه القبيلة ، وأطلق عليها اسم "مدينة الاسكندر"

Alexandropolis ، وفي معركة خايرونيا التي دحر فيها فيليب المدن الأغريقية في عام ٣٣٨ ق م كان الاسكندر يتولي قيادة الفرسان وكان عمره ثمانية عشر عامًا ، وأظهر بسالة نادرة خلال المعركة

فيليب يحقق حلمه

وأخيرًا استطاع فيليب بعزيمة فولاذية وباستخدام القوة والعنف ، أن يحقق حلمه بالسيطرة علي بلاد الإغريق ، وتوحيدها رغم أنف السلاسل الجبلية التي كانت تعوق ذلك ، وتمكن فيليب من أن يصبح زعيمًا للإتحاد الهيلليني ، وأن يجبر الإغريق علي التحالف مع مقدونيا ، وهذا يُعتبر خطوة كبيرة في الطريق لتحقيق حلم ابنه الإسكندر ، واستعد فيليب لتهيئة الظروف المناسبة لشن حملته الانتقامية علي الفرس ، وأعلن فيليب عن عزمه علي قيادة الإغريق لحرب الفرس ، وفي عام ٣٣٨ ق م ، عبرت طلائع القوات المقدونية مضيق الهلسبونت ، وكان من المقرر أن يبدأ الزحف الكامل في عام ٣٣٦ ق م ، إلا أن اغتيال فيليب في هذا العام أوقف هذا المشروع

ومخطئ من يظن أن النزعة الإنفصالية التي كانت علي الدوام وبال علي بلاد الإغريق سيقضي عليها انتصار مقدوني واحد في معركة (خيرونيا) الفاصلة التي حدثت في ٢ أغسطس ٣٣٨ ق م ، بل إن الدويلات الإغريقية نفسها لم تكن مستعدة للاعتراف بمقدونيا كزعيمة للهيلينية ، لأن مقدونيا كانت لا تزال – في نظر الإغريق – خارج نطاق الدول الهيللينية

كان الإغريق ينظرون إلي المقدونيين نظرتهم إلي شعوب البرابرة كما يطلقون عليهم ، مهما حاولوا التظاهر بأنهم من الهيللينيين ، وقد كان فيليب نفسه أحيانًا ينسي نفسه وتبدو عليه صفاته المقدونية المتأصلة فيه ، فعندما غمره الفرح بانتصاره الساحق ، خرج عن اتزانه ، وأطلق لمشاعره العنان فراح يغني وهو يتفقد الساحة المخضبة بالدماء أناشيد النصر ، والسخرية من العدو ، لقد كشف أثناء انغماسه في الصخب والعربدة عن أعماق نفسه ، وأزاح النقاب ، في تلك اللحظة عن طبيعته الأصيلة المتبربرة التي طفت علي السطح وطغت علي المسحة الرقيقة من الثقافة الهيللينية

وليثبت فيليب رغم أنف جميع الإغريق أنه أصبح بالقهر سيد الإغريق بل سيد العالم الهيللينى نفسه دعا كل دويلات المدن في نهاية عام ٣٣٨ ق م إلي مؤتمر عام انعقد في (كورنثة) ، وبالطبع استجابت كل الدويلات للدعوة ما عدا (إسبرطة) ، وأعلن قيام الإتحاد الهيللينى علي أساس التحالف الدفاعي الهجومي ، وأعلن الصلح والسلام العام

وفي مؤتمر كورنثة العام التالي في ربيع عام ٣٣٧ ق م ، تقدم فيليب بمشروع القيام بحملة ضد الفرس ، انتقامًا منهم لما أحدثوه من تخريب في معابد الآلهة اليونانية في الحروب الفارسية في القرن الخامس ق م ، ولإنجاز مشروع ضخم كتلك الحرب فوض الإتحاد الهلليني الجامع لفيليب سلطات كاملة خاصة ، ومنحه لقب (قائد بلاد الإغريق) مفوض بكامل السلطة ، وفي ربيع العام الثاني ٣٣٦ عبرت طلائع القوات الدردنيل تمهيدًا لعبور القوة الرئيسية التي كان فيليب يعتزم قيادتها بنفسه إلي آسيا

وقد حدث ذلك في وقت حرج بالنسبة للإمبراطورية الفارسية إذ كان ملكها قد مات وخلفه علي العرش أصغر أبنائه الذي كان ألعوبه في يد رجال البلاد ، وأخيرًا انتزعه دارا الثالث الذي يمت بصلة قرابة للأسرة المالكة ، وبالتالي كانت الظروف مهيئه لزحف فيليب بجيشه إلي آسيا

اغتيال فيليب :

لكن فيليب لم يقدّر له أن ينزل في آسيا أبدًا ، إذ أُغتيل في صيف عام ٣٣٦ ق م ، أثناء الاحتفال بزواج ابنته ، فبينما فيليب يتقدم موكب الزفاف ، وحيداً في مقدمته ، يسرع خلفه رجل . يقترب منه كثيراً . ثم يخرج خنجراً . ويغمده فيه . ثم يسارع الى الفرار . وكان قد أعُد له حصاناً خارج المسرح . ولكنه قبل أن يبلغه تلحقه حربة القائد بيرديكاس . فتقتله . وأما فيليب ، فكان قد مات بطعنة الخنجر القاتلة

وعندما قُتل فيليب ، في أكتوبر عام ٣٣٦ ق م ، في قاعة مسرح آيجي ، تعرف الحاضرون من فورهم على قاتله وكان يُسمى بوزانياس ، وتذكروا ان بوزانياس كان قد تشاجر منذ سنوات مع أحد أعوان قائد يُدعي (أتالوس) ، وأن ذالك القائد ، وحتى فيليب نفسه ، رفضا أن يتدخلا لصالحه خلال تلك المشاجرة

ولكن لماذا يقتل فيليب بعد كل هذه السنوات ؟ ولماذا لم يقتل القائد (أثالوس) قبلها ؟

ومن أطلعه على خطوات الحفل . وأعد له الحصان خلف المسرح ؟ لقد زاد من شبهات المقدونين ، أن الأسكندر نفسه ، كان بعد مقتل والده ، هادئا ورصينا

وقد صعد على خشبة المسرح . ونادى اتباعه ورعاياه بألا يحزنوا لفقد ملكهم . وأن يلتفوا حول الملك الجديد ووعدهم بأن شيئاً لن يتغير في المملكة سوى أسم الملك ، ثم امر الاسكندر من فوره ، بقتل بعض منافسيه ، ممن بمكن أن ينافسوه الحكم بعد ذلك . وكان من هؤلاء شقيقان من أولاد الأسكندر ايروبيس ، وقد عفا الأسكندر عن ثالثهم ، حين سارع بأعلان وفائه له كذلك أمر الاسكندر بقتل ابن اخر شرعى للملك فيليب ، كان يسمى كارانوس . وابن الملك السابق بيرديكاس عم والده . وكان يدعى اينتيباس .

وقد اثار سلوك الأسكندر عقب مقتل والده ، اتهامات كثيرة . وهناك من اتهم الاسكندر صراحة بتدبير مقتل والده ، فيليب . أو على الأقل بالأشتراك مع والدته أوليمبيا ، في مؤامرة قتله

وظلت مؤامرة اغتيال فيليب غامضة لكن في أكبر الظن أنه اغتيل لأسباب شخصية ، وكان فيليب قبل موته قد غضب من زوجته أوليمبياس أم الإسكندر فقد كانت العلاقة بينهما سيئة وتزداد سوءًا بمرور الوقت

وعلي الرغم من أن أوليمبياس كانت سيدة شرسة غريبة الأطوار ، إلا أنها كانت عظيمة الأثر علي ابنها ، وكان فيليب قد ضاق بها ذرعًا ، واتخذ لنفسه زوجة أخري تُدعي كليوباترة وكانت مقدونية ، بينما كانت أوليمبياس من منطقة (إبيروس) Eperus ، التي تقع غربي بلاد اليونان ، لذا فقد راحت الأقاويل تتناثر حول رغبة فيليب في إنجاب وريث للعرش ، يكون مقدونيًا خالصًا ، مما يعني إزاحة الإسكندر عن ولاية العهد ، وهذا بالطبع أدي إلي توتر العلاقة بين الإسكندر وأبيه ، كما هو الحال بين فيليب وأم الإسكندر

وعندما بلغ التوتر بين فيليب وزوجته درجة عالية ، قرر فيليب نفي هذه السيدة المشاكسة إلي بلدها ، وقد رافق الاسكندر والدته إلي المنفي ، وبعد برهة أرسل فيليب إلي الاسكندر ، طالبًا منه العودة إلي مقدونيا ، وقد استجاب الابن وعاد إلي (بيلا) عاصمة مقدونيا ، وعلي الرغم من محاولات فيليب للتقرب من ابنه ، إلا أن الإسكندر ظل فاترًا تجاه أبيه ، وعندما أنجبت العروس المقدونية إبنًا لفيليب ، استبد القلق بالاسكندر ووالدته ، وساورهم الخوف من أن تتحقق الأقاويل التي أُثيرت من قبل في ردهات القصر ، وعندما تم اغتيال فيليب في عام ٣٣٦ ق م ، كان من الطبيعي أن تشير أصابع الاتهام إلي الاسكندر ووالدته

وهو اتهام لم تثبت صحته ، وعندما أصبح الإسكندر ملكًا ، كان أول عمل أقدمت عليه أوليمبياس هو قتل كليوباترة وابنها بأسلوب انتقامي بشع فكان كل ذنب كليوباترة أن فيليب قد اختارها لتكون زوجته ولكن ألوليمياس لم ترحمها وأجبرتها علي شنق نفسها ، وهو عمل أثار استياء الإسكندر

وحاول الإسكندر معرفة من يقف خلف مؤامرة قتل أبيه لكن دون جدوي ، وأشارت أصابع الاتهام نحو الكثيرين حتي قيل فيما قيل أن الفرس هم من خططوا لقتله

وهكذا لقي فيليب مصرعه في سن السادسة والأربعين ، وكان قد تولي الملك في سن الثالثة والعشرين ، وقد حجبت شهرة ابنه بعد ذلك شهرته ، رغم أنه كان واحدًا من أشهر الحكام في بلاد البلقان في العالم القديم ، فلم تنجب تلك البلاد حاكمًا أفضل منه باستثناء ابنه الإسكندر بالطبع ، وإن كان كل منهما قاتل دموي بربري لا يعرف إلا منطق القوة والعنف

ولقد أودي بفيليب سلوكه الشخصي وربما علاقاته النسائية واندفاعه ، لكن عمله وإنجازاته لصالح شعب مقدونيا وجمعه لبلاد الإغريق المشتتة حقيقة واقعة ، فقد وحد بلاد البلقان وربطها ببلاد الإغريق تحت قيادة واحدة ، وهو عمل لم يستطع أحد من بعده القيام به ، كذلك وضع أسس البناء الذي شاده الإسكندر من بعده ليحاول تحقيق حلمه ويمهد لحقبة جديدة في تاريخ العالم

وقد ترك فيليب للاسكندر دولة (إغريقية) قوية متجانسة توحدت لأول مرة منذ الحروب التي دارت بينهم والمسماة بالحروب (البولوبونوزية) والتي شغلتهم طوال قرن ، كذلك ترك فيليب للاسكندر جيشًا مدربًا كان من ناحية تسليحه وتدريبه أفضل جيوش العالم القديم

وكان الإسكندر وقتها في العشرين من عمره ، متوسط الطول ، قوي الجسم ، حليق اللحية والشارب (علي عكس والده فيليب) ، وكان أسود الشعر يفرقه من الوسط ، وتتدلي خصلاته علي جانبي رأسه ، عيونه سوداء

الإسكندر علي العرش

وتربع الاسكندر علي عرش مقدونيا في عام ٣٣٦ ق م ، وعمره عشرين عامًا ، وما إن ترامي إلي المدن الإغريقية نبأ وفاة فيليب حتي هبت ثائرة ، رغبة في التخلص من نير مقدونيا ، وكان الإغريق يعتقدون أن الاسكندر شاب صغير لا تتوفر لديه قوة فيليب ولا خبرته ، وتزعمت مدينة طيبة ثورة الإغريق ضد مقدونيا ، فسار إليها الاسكندر واستولي عليها ، وأمر بتسوية المدينة بالأرض ، وبيع ثلاثين ألفًا من أهلها في أسواق العبيد ، إضافة إلي قتل ستة آلاف آخرين منهم ، وقد أراد الإسكندر أن يجعل من طيبة أمثولة ، حتي يتعظ باقي الإغريق ، ويبدو أنهم استوعبوا الدرس جيدًا ، فلم يسببوا متاعب تُذكر للاسكندر بعد ذلك. وهكذا عرف الجميع في بلاد الإغريق أن الجالس علي عرش مقدونيا لا يقل قوة عن أبيه ، بل وربما يفوقه قسوة وعنفًا

مات فيليب إذن بعد أن حقق حُلمه ، وجاء الوقت كي يخطو الإسكندر أُولي خطواته في اتجاه تحقيق حلمه الكبير ، فكل الأمور اللازمة لذلك قد قام والده فيليب بوضع أسس متينة لها ، فمما لا شك فيه أن الفضل في تمتع مقدونيا بجيش حديث ومدرب ، اعتبره المؤرخون أفضل جيوش العالم القديم علي الإطلاق ، يعود إلي فيليب وليس إلي الإسكندر

كما أن فيليب لم يتمكن من تنفيذ رغبته في تغيير ولاية العهد وينقلها من الإسكندر إلي ابن مقدوني خالص ، فقد قامت أوليمبياس بقتل الطفل هو وأمه ، وهو المقدوني الوحيد أو قل الشخص الوحيد الذي يمكنه

المطالبة بالعرش بقوة في يوم من الأيام ، وكأن القتل هو الوسيلة الوحيدة التي يعرفها البيت المالك المقدوني للتخلص من المنافسين علي العرش

وباغتيال فيليب نفسه أصبح الإسكندر هو صاحب الأمر والنهي ليس في مقدونيا فحسب بل في جميع بلاد الإغريق ، كما يمتلك جيش قوي سوف يحقق به حلمه ويغزو العالم كله ويسيطر عليه ، وإذا كان الفضل في ما ورثه الاسكندر من قوة يعود لوالده فيليب ، فإن الفضل يعود كاملًا أيضًا لمعلمه أرسطو في أن تصبح حملته علي الشرق ليست مجرد غزوة عسكرية حيث أوصاه يومًا قائلًا له :

– أتمني أن لا تكون أي حملة تقوم بها علي بلاد العالم مجرد حملة عسكرية ، وإنما حركة حضارية ، يرافقك فيها إلي جانب المقاتلين ، مهندسون ، وأطباء وعلماء نبات وحيوان ، وأدباء وشعراء ومؤرخون ، بل وراقصون وممثلون ، وأن يعملوا جميعًا علي دراسة أحوال الشعوب التي يمرّون بها ، بل ويتركون بتلك البلاد بصماتهم الإغريقية واضحة عليها ، ويجلبون منها مشاهداتهم وعيناتهم

فرد الإسكندر ليطمئن معلمه قائلًا :

– أفهم ما تعنيه يا سيدي المبجل ، وسوف أنفذه حرفيًا ، فستعمل حملاتي علي فتح أبواب واسعة لانتشار الحضارة الإغريقية وتغلغل علومها وثقافتها ليعلم الجميع أننا الأحق بأن نكون سادة هذا العالم

– حاول يا بني أن تحقق بفتوحاتك أهداف إنسانية ، وأن تؤسس حكومة عالمية واحدة تفرض ثقافتنا علي جميع الناس ، ولتكن أنت رسول الحضارة الهيللينية إلي العالم

هذا ما كان يأمله الأستاذ وتلميذه ولكن الذي حدث بالفعل ، أن الإغريق تأثروا بحضارات الشرق أكثر مما أثروا فيها ، فقد اكتشفوا أن هناك حضارات متوغلة في القدم والعراقة كالحضارة الفرعونية والحضارة الآشورية والفينيقية وغير ذلك

وأخذ الإسكندر ينظم أمور مملكته ، ويُعد لحملته علي الإمبراطورية الفارسية ، ولم يكن يعرف أنه لن يعود إلي مملكته أبدًا حيًا أو ميتًا

وأخذ المخلصون له ينصحونه بالزواج ، لإنجاب وريث له علي العرش قبل خروجه من مقدونيا ، فلم يكن هناك من يخلفه علي العرش ، ولكنه لم يلتفت إلي نصائحهم ، وقال لهم :

– وهل هذا وقت اللهو مع النساء ، بينما هناك الكثير مما يجب علي عمله

الخطوة الأولي في طريق تحقيق الحلم :

وبعد أن تحقق الهدوء في بلاد اليونان وتم خضوعها لمقدونيا قرر الاسكندر بدء الحملة علي الفرس وهي الحملة الإنتقامية التي كان والده يتأهب للقيام بها ، فبعد عامين من اعتلاء الاسكندر عرش مقدونيا وفي ربيع عام ٣٣٤ ق م عبر الإسكندر مع جيشه إلي آسيا ، عند نقطة (هيلزبوينت) ، وكان قد تجمع له فيها حوالي ١٦٠ سفينة حربية ، قدمتها له الدويلات الإغريقية البحرية وأهمها أثينا

ولم يكن الإغريق بالطبع يرغبون في التحالف أو التعاون مع ملك مقدونيا والخضوع لقراراته وأوامره ولولا القوة التي أصبحت عليها مقدونيا لما تم خضوعهم لها ولملوكها

وقد كان الملك فيليب الثاني ومن بعده ابنه الاسكندر يُرغمون الإغريق علي هذا التحالف وكانوا حريصين علي استمراره قبل غزو الشرق معولين علي القوة البحرية التي يتمتع بها الإغريق ، ومع ذلك فقد كان الفرس وقتئذ يمتلكون أسطولًا كبيرًا يزيد عدده علي ٤٠٠ سفينة ، ولكن الجزء الأكبر من الأسطول الفارسي كان في هذا الوقت في مصر ، يشترك في إخماد ثورة فيها

وكان دارا الثالث ملك الفرس يريد أن يتقدم الإسكندر بجيشه في آسيا ويتوغل فيها حتي إذا ابتعد عن خطوط الإمداد يقوم الجيش الفارسي بعزله عن بلاده والإجهاز عليه بسهولة ، لذلك تمهل الفرس وانتظروا عبور جيش الإسكندر وتركوه يستمر في الزحف دون مقاومة

ومن تدابير القدر أن يتولي دارا الثالث الحكم في بلاد الفرس في نفس توقيت تولي الاسكندر الثالث الحكم في مقدونيا أيضًا ، وكان كل منهما يتحدي الآخر ويسخر منه ، فكان دارا الثالث يرسل رسائل استفزازية إلي الإسكندر فيقوم الأخير بالرد علي كل رسالة بما يناسبها

فمثلًا عندما اعتلي الإسكندر عرش مقدونيا ، أرسل له دارا الثالث يطلب جزيته من (البيض الذهبي) فكان رد الإسكندر :

– الطائر الذي يضع هذا البيض ، قد طار إلي عالم آخر ، ويجب أن يتبعه دارا الثالث إلي هناك

وكان الإسكندر يعتبر نفسه رسول الحضارة الهيللينية إلي الشرق ، بل إلي العالم كله ، ولكن المؤرخون قد أطلقوا علي الحضارة الهللينية بعد انتقالها للشرق وامتزاجها بحضارات أخري اسم الحضارة الهللنستية تمييزًا لها عن الحقبة الهللينية

وقد بدأ الاسكندر الزحف نحو الشرق والقيام بفتوحاته اعتبارًا من عام ٣٣٤ قبل الميلاد ، ففي مستهل ربيع عام ٣٣٤ ق م خرج الاسكندر بوصفه ملكًا لمقدونيا وزعيمًا للاتحاد الهللييني "المسمي أحيانًا حلف

كورنثة" وقائدًا عامًا للحملة الانتقامية المشتركة ضد الفرس علي رأس جيش مقدوني إغريقي يبلغ عدده حوالي ٣٠٠٠٠ مشاة ، ٥٠٠٠ فرسان ، فضلًا عن ٧٠٠٠ مشاة و ٦٠٠ فرسان و ١٦٠ سفينة أسهم بها الاتحاد الهلليني ، وخرج معه عدد من العلماء والأدباء مثلما حدث في حملة نابليون علي مصر فيما بعد ، وعبر مضيق الدردنيل

وعندما توسط مياه المضيق الذي كان يعبره مع جنوده إلي آسيا ، شرب من كأس ذهبية نخب (بوسيدون) رب البحر عند الإغريق القدماء ، وألقي بالكأس الفارغة في مياه البحر

وكان الاسكندر معجبًا بعصر البطولة ، عصر الحرب الطروادية ، وبالأبطال الأغريق الأسطوريين من أمثال أخيا بطل الألياذة ، كان الإسكندر كأمه ذا نزعة خيالية ، وكان يحمل معه نسخة من الألياذة ، بل اتخذ لنفسه صديقًا حميمًا وهو هيفايستيون مقتديًا في ذلك ببطل أسطوري من أبطال الإغريق ، واتجه بعد عبوره الدردنيل ونزوله بآسيا الصغري ، اتجه إلي موقع طروادة ، وزار المكان تحية لذكري البطل الأغريقي الذي قُتِل ودُفِن هناك كما ورد في الأساطير

والتحم الإسكندر مع الجيش الفارسي وانتصر عليه في معركة نهر جرانيكوس ثم زحف بعد ذلك إلي شمال سوريا حيث أحرز في معركة إسوس Issus انتصاره الثاني علي دارا الثالث ملك الفرس في نوفمبر عام ٣٣٣ ق م وفر دارا بعد الهزيمة تاركًا أسرته التي وقعت في يد الإسكندر ، وقد عامل الإسكندر زوجة وبنات الملك الفارسي معاملة كريمة وردهن إليه

وأصبح أمام الاسكندر طريقان ، فإما أن يتجه شرقًا متعقبًا جيش الفرس وإما أن يزحف جنوبًا للاستيلاء علي الساحل الفينيقي ، واختار الإسكندر الطريق الثاني ، ذلك لأن الأسطول الفارسي "وقوامه سفن فينيقية" كان يربض وراء ظهره ، ولم يكن في استطاعته الوقوف في وجه هذا الأسطول الذي كان من الجائز أن يقطع عليه تمامًا طريق الاتصال بمقدونيا لو توغل بجيشه في قلب آسيا ، لذلك آثر الاستيلاء علي شواطئ شرقي البحر المتوسط حيث توجد قواعد الأسطول الفارسي ، فإذا استولي علي قواعده فإن هذا الأسطول يصبح عاجزًا عن متابعة عملياته العسكرية ، لهذا اتجه الاسكندر جنوبًا واحتل دون عناء مدن الساحل الفينيقي ، لكن مدينة "صور" استعصت عليه واستمر حصاره لها ثمانية أشهر وأخيرًا سقطت بعد أن كبدته خسائر مادية وبشرية كبيرة ، ثم مضي في طريقه واستولي علي غزة بعد مقاومة عنيفة ثم استولي علي رفح وبلغ حدود مصر الشرقية

القرار الحاسم :

وكان الاسكندر قبل أن تسقط صور قد واجه مشكلة تتطلب قرارًا حاسمًا ، ذلك أن دارا ملك الفرس كتب إليه عارضًا عليه يد ابنته وعقْد محالفة بينهما ، متنازلًا له عن الممتلكات الفارسية غربي الفرات ، وكان العرض مغريًا

ولو كان الاسكندر قد قَبِل العرض ، إذن لتغير وجه التاريخ ، لكن أطماع الإسكندر زادت من بعد معركة إسوس ، وعندما صارحه برمانيون أحد قواده المخلصين قائلًا :

– لو كنت في مكانك لقبلت عرض دارا

فأجاب الاسكندر

– وكذلك كنت أفعل لو أني كنت برمانيون

وبعد أن هزم الفرس واحتل الموانئ شرق البحر المتوسط زحف الاسكندر بقواته المنتصرة نحو مصر وقد سبقته إليها أخبار انتصاراته ، فدخلها دون عناء حيث استسلم الوالي الفارسي عندما أيقن عبث المقاومة ، واستقبله المصريون استقبال الفاتحين ، ورحبوا به واحتفي به الكهنة لأنه كان يبدي احترامه للديانة الفرعونية ، فماذا فعل الإسكندر في مصر وإلي أين ذهب وتجول فيها ؟ ومن الذي التقي به ؟

أبحر الاسكندر في الفرع البلوزي لنهر النيل ووصل إلي مدينة منف مقر عبادة الإله بتاح ، وحرص علي إظهار احترامه للديانة المصرية ، فقدم القرابين للإله وحرص علي إبداء احترامه للكهنة ، حيث قاموا بتتويجه فرعونًا طبقًا للطقوس المصرية

ومن ناحية أخري أراد أن يؤكد كونه رسول الحضارة الإغريقية إلي الشرق ، فأقام مهرجانًا رياضيًا وموسيقيًا في منف ، علي الطريقة الإغريقية ، وبعد أن فرغ الاسكندر من كل ذلك ، أبحر في الفرع الكانوبي لنهر النيل ، حتي مصب هذا الفرع عند مدينة كانوب "أبو قير الحالية" وسار بعد ذلك برًا قاصدًا مدينة قوريني ، وهي مستعمرة بناها الإغريق علي ساحل ليبيا "مكانها الحالي قرية شحات بمحافظة الجبل الأخضر" وكانت تابعة للفرس

ميلاد الإسكندرية

وفي أثناء سير الاسكندر بمحاذاة شاطئ البحر المتوسط ، لفت انتباهه موقع قرية صغيرة يسكنها الصيادون المصريون تُدعي راقودة ، وتقع قبالتها في البحر جزيرة صغيرة تُسمي فاروس ، فقرر إقامة مدينة في هذا الموقع ، ويأتي ذلك في إطار رغبته في تخليد اسمه من خلال إقامة المدن ، ومن ناحية

أخري فقد أراد إقامة ميناء يكون قادرًا علي أن يسلب مدينة صور الأهمية التي تتمتع بها من الناحية التجارية ، وعهد إلي مهندس يُدعي دينوكراتيس بأن يقوم بتخطيط المدينة ، ولم يتوفر له جير كافي لتخطيط المدينة بالكامل فاستخدم الدقيق وهو ما جعلهم يستبشرون بأن المدينة ستجلب النماء والبركة . وتم إقامة جسر يصل ما بين اليابسة وجزيرة فاروس أتاح ذلك تواجد حوض كبير شرق الجسر وآخر غربه وهو ما يُعرف حاليًا بالميناء الشرقي والميناء الغربي ، وقد حملت المدينة الجديدة اسم الإسكندرية

وبعد أن وضع الإسكندر حجر الأساس لمدينته الجديدة ، واصل سيره في اتجاه الغرب وعندما بلغ مدينة برايتونيون "مرسي مطروح الحالية" ، التقي وفدًا من مدينة قوريني جاء لمبايعته وتقديم الهدايا له ، فلم يعد هناك ما يدعوه إلي مواصلة السير إلي قوريني ، وقرر أن يخترق الصحراء جنوبًا إلي واحة سيوة ، حيث يوجد معبد الإله آمون ، وهو معبد نال شهرة عالمية آنذاك باعتباره من أشهر معابد الوحي في العالم ، وقد أراد الإسكندر من خلال هذه الرحلة أن يحقق عدة أهداف ، أولها إثبات انتسابه للإله آمون ، كما أراد من ناحية أخري أن يسأل الوحي عن مدي نجاح خططه المستقبلية ، وكانت رحلة الإسكندر ورفاقه إلي واحة سيوة محفوفة بالمخاطر ، فلم تكن لدي الإغريق خبرة بالسير في دروب الصحراء ، ومن الجدير بالذكر أن بعض المصادر القديمة بالغت في الحديث عن المعجزات التي صاحبت هذه الرحلة

عندما بلغ الركب نهاية الرحلة ، تقدم الإسكندر إلي معبد الإله آمون فاستقبله كبير الكهنة قائلًا : "

– أهلًا بابن آمون

ولكن أيهم كان يخدع الآخر ؟ الإسكندر أم الكهنة ؟ ، ولنعرف الإجابة لابد أن نحدد من المستفيد من انتساب الإسكندر إلي الإله آمون المزعوم ؟ والحقيقة أن الجميع سيستفيد بلا شك ، فالإسكندر علي المستوي السياسي سيحكم كفرعون مؤله وبالتالي لن يراجع أحد قراراته ، وعلي المستوي العسكري سيرفع هذا الخبر من الروح المعنوية له ولقواته ، فقد أصبحوا يقاتلون تحت قيادة الآلهة ، أما الكهنة فسيجدون عملًا مضمونًا فلا قيمة لهم بدون فرعون ، وباقي الشعب سيمارس ديانته الفرعونية بعد أن تم تنصيب فرعون جديد طال وقت البحث عنه ، ويبدو أنهم لا يستطيعون العيش من دون فرعون واهب الحياة ، ففرعون مصر كان يمثل الضلع الثالث في مثلث الحياة في نظر المصريين

فمصر بطبيعتها بيئة فيضية والبيئة الفيضية تؤدي إلي مجتمع هيدرولجي يجعل من وجود الفرعون ضرورة حتمية فمصر لا تعتمد علي المطر في حياتها ، وإنما علي ماء النهر ، وقوامها هو زراعة الري ، ومن هنا بالدقة يبدأ كل الفرق في حياة المجتمع النهري وطبيعته ، ففي البلاد التي تعيش علي الأمطار مباشرةً

يختزل المجهود البشري إلي حده الأدني ، فبعد قليل من إعداد الأرض والبذر ، يتوقف العمل أو يكاد حتي الحصاد ، وبين هذا وذاك فليس هناك من يحفر الترع والمصارف أو يقيم الجسور والسدود وأهم من هذا كله أن ليس هناك من يمكنه أن يحبس عنك المطر أو أن يتحكم في توزيعه ، من هنا فقد تكون الطبيعة سيدة الفلاح ولكن الفلاح بعد ذلك سيد نفسه ، أما في بيئة الري فالأمر مختلف كل الاختلاف ، لابد من مجهود بشري ضخم أي لابد من شبكة غطائية كثيفة من الترع من كل مقياس ابتداء من قنوات الحمل وقنوات التغذية إلي مساقي الحقول حتي تزرع ، ثم ما جدوي تلك الشبكة إذا لم تسيطر علي أعناقها ورءوسها بالنواظم والقناطر والسدود ؟ أي ما الجدوي بغير ضبط النهر ؟ ، وأكثر من هذا ما جدوي الجميع بغير ضبط الناس ؟ ، إن زراعة الري إذا تُرِكت بلا ضابط يمكن أن تضيع مصالح الناس المائية في مواجهة بعضها البعض مواجهة متعارضة دموية ، ذلك أن كل من يقيم علي أعلي الماء يستطيع أن يسئ استعماله إما بالإسراف أو بحبسه تماماً عمن يقع أسفله أي أن كل حوض علوي يستطيع أن يتحكم في حياة أو موت كل حوض سفلي وكل من يقع علي أفواه الترع يستطيع أن يهدد حقوق المياه لمن يقع علي نهايات الترع ، كذلك يمكن للمحاباة والتحيز أن تسخو بالماء لمن تريد وتقبضه عمَّن تريد ، المحصلة إذن واضحة : بغير ضبط النهر يتحول النيل النبيل إلي شلال محطم جارف ، وبغير ضبط الناس يتحول توزيع الماء إلي عملية دموية ويسيطر علي الحقول قانون الغاب والأدغال ، في ظل هذا الإطار الطبيعي يصبح التنظيم الاجتماعي شرطاً أساسياً للحياة ويتحتم علي الجميع أن يتنازل طواعية عن كثير من حريته ليخضع لسُلطة عامة أعلي توزع العدل والماء بين الجميع ، سُلطة عامة أقوي بكثير مما يمكن أن تتطلبه بيئة لا تعتمد علي نهر فيضي في حياتها ، وبذلك لا تكون الطبيعة وحدها سيدة الفلاح ، وإنما بين الاثنين يضيف الري سيداً آخر هو الحاكم الذي يسمونه في مصر الفرعون المؤله

فقد عُد فرعون ضلعاً أساسياً في مثلث الإنتاج إلي جانب الضلعين الطبيعيين الماء والشمس

فوجود الفرعون في مصر كان له أهمية خاصة ، لذلك احتاج الكهنة الإسكندر كفرعون مؤله وليس كحاكم عادل ، إذن فقد كذب الكهنة علي الإسكندر وخدعوه وكذب هو بدوره عليهم ، والطريف أن الجميع كانوا يكذبون ويعرفون أنهم كاذبون ، ولكنهم اعتبروا أن الأمور لن تستقيم لهم إلا بذلك ، فاتفقوا مع الإسكندر اتفاق صامت غير معلن علي تأليهه وقد وافقهم بالطبع ، وكما قيل من قبل أن أقوي اتفاق هو الذي يتم بدون اتفاق

وهكذا استغل الإسكندر الدين ليدعم مركزه في السلطة ويستمد شرعيته في الحكم المطلق ، وكان الفراعنة من قبل يلجأون إلي مثل هذه الأمور الدينية ليستمدوا شرعيتهم ، فإذا كان الفرعون يشعر بأنه مغتصب للسلطة فساعتها يدعي أن وصوله للسلطة كان بأمر الآلهه وليس بمحض إرادته

وبعد أن قام كبير الكهنة باستقبال الإسكندر ، دعاه إلي دخول قدس الأقداس ، وكان الإسكندر يرغب في سماع الاعتراف من كبير الكهنة بكونه ابن آمون

ثم دلف بعد ذلك إلي قاعة قدس الأقداس بمفرده ، وليس من المعروف علي وجه التحديد فحوي الحوار الذي دار في داخل هذه القاعة ، لأن كبير الكهنة أفهم الإسكندر بأن ما دار داخل قدس الأقداس هو نوع من الأسرار لا ينبغي البوح به للآخرين

وبعد أن فرغ الإسكندر من زيارة سيوة عاد إلي وادي النيل ، وحرص علي أن يُعلن للجميع عن دخول الحضارة الإغريقية إلي مصر ، لكي تكون توأمًا للحضارة المصرية ، ولكنه حرص علي الإبقاء علي النظم الإدارية المصرية القديمة ، أما الإدارة المالية فقد عهد بها إلي الإغريق ، وجعل علي رأس هذه الإدارة مواطن إغريقي من مدينة نقراطيس ، ويُدعي كليومينيس Cleomenes ، وأبقي علي منف عاصمة لمصر لحين انتهاء العمل في بناء الإسكندرية ، ولم يقم بتعيين حاكم عام لمصر ، بل قام بتوزيع السلطات الإدارية والمالية والعسكرية ليس فقط بين عدة أشخاص بل بين عدة جنسيات فجعل السلطة الإدارية للمصريين والعسكرية للمقدونيين والمالية للإغريق ، وهو ما يشير إلي أن الإسكندر قد شعر بأهمية مصر وإمكانياتها وقدرتها الذاتية علي الاستقلال والتفوق إذا ما وجدت القائد الطموح الذي يجمع السلطات كلها بين يديه

وعلي أي حال كانت السلطة المالية في مصر هي الأهم للجميع لما تدره من دخل بسبب وفرة إنتاج القمح ، فكان اختيار شخص مثل كليومينيس النقراطيسي لإدارة الشئون المالية مما يُحسب للإسكندر وقدرته علي معرفة إمكانيات الرجال وتوظيفها جيدًا ، شأن كبار القادة علي مر التاريخ

موظف كفء أم داهية

أما كليومينيس النقراطيسي الذي كلفه الإسكندر بالإشراف علي مالية مصر فلم يكن مجرد موظف كفء ، يتلقي تعليمات الملك لينفذها بإتقان ، وإنما كان تاجرًا وماليًا ، من نوع فريد ، حيث يمكن اعتبار فترة إشرافه علي المالية المصرية ، تجربة فذة في تاريخ الاقتصاد فقد أُوتي هذا الرجل ذكاءًا حادًا ، وخبرة نادرة ، ليس بالسوق المصرية فحسب ، وإنما بالأسواق العالمية في البحر –الأبيض– المتوسط حينئذ ، وعامل

المالية المصرية كما يعامل التاجر الطموح ماليته الخاصة ، وتاجر باسم الدولة ، وكان هذا التاجر الداهية ، صاحب سياسة اقتصادية قوية تقوم علي الاحتكار لأهم مصادر الثروة في مصر ، آنذاك ، وهي القمح ، ولتحقيق هذا الهدف اتفق مع المزارعين ، الفلاحين علي شراء القمح منهم ، مباشرة بالسعر الذي كانوا يصدرون به كما قضي علي الوسطاء والتجار المنافسين له ، واستخدم شبكة متقنة من السماسرة والوكلاء ، تتبعه ، وتزوده بأخبار الأسعار العالمية للقمح ، ومكان ندرته

كما كان يستغل أي ضائقة إقتصادية للشعوب ، في أي مكان ، من حوض البحر المتوسط ويبيع القمح بأسعار تراوحت ما بين ٣-٥ أضعاف سعره العادي

كما اشتهر بالخديعة والحيلة في الحصول علي المال من مصادره المضمونة وعلي رأسها بالطبع طبقة الكهنة فقد كانوا يملكون الكثير من الأموال لما تدره أرباح ممتلكات المعابد ، فكانت له معهم تصرفات مريبة ، فقد وصل به الابتزاز والإرهاب معهم حدًا كبيرًا ، لدرجة أنه اخترع الروايات والأكاذيب حتي يجبرهم علي دفع الأموال التي يريدها منهم ، وبالتالي يُضعف مركزهم المالي ، وتنتقل ثرواتهم إلي خزائنه هو

فمثلًا ادعي يومًا أن تمساحًا قد ابتلع أحد أتباعه ، وانتقامًا منها ، أي التماسيح ، التي كانت مقدسة في إقليم الفيوم باسم الإله "سوبك" ، أمر بصيدها مما أجبر الكهنة -في ذلك الإقليم- إلي تعويضه عن خسارته ، وجمعوا له مالًا كثيرًا

ولكن هل قام كليومينيس بهذه التجارة وبكل هذه الأعمال لحسابه الخاص أم باسم الدولة ولصالحها ؟

والحقيقة أن كليومينيس كان يتصرف علي أنه رجل دولة ، ويضع الدخل في خزانة الحكومة التي سلمها "فيما بعد مكرهًا" لبطليموس الأول ، عندما جاء ذاك القائد المقدوني عقب وفاة الإسكندر ، وقرر بينه وبين نفسه استقطاع مصر له من الإمبراطورية المقدونية حتي يتمكن هو وأسرته من بعده لتنفيذ مخططه الاستثماري العظيم لمزيد من الأرباح والمكاسب ، وهكذا لم يكتمل حلم كليومينيس كما لم يكتمل حلم سيده الإسكندر وانهارت دولته بعد وفاته

ويبدو أن سياسة كليومينيس الإقتصادية كانت قد أسعدت سيده الإسكندر الأكبر ، الذي "بالرغم من سوء سمعة موظفه كليومينيس ، بين اليونانيين وغضبهم من أعماله واستغلاله الجشع" أبقاه في منصبه طيلة حياته ، ولم يخلعه إلا بطليموس ، الذي لفق له عدة تهم وتخلص منه ، طمعًا في الأموال التي كان قد جمعها ، خوفًا من مكانته ومقدرته في مصر وتسلطه واحتكاره لتصدير القمح علي المستوي العالمي القديم

ولم يكن كليومينيس هو الظاهرة الوحيدة العجيبة في تلك الفترة ، فإذا نظرنا ، نظرة سريعة علي نظام الإسكندر في مصر ستكشف لنا نقصًا ظاهرًا في هذا النظام ، وهو عدم وجود منصب حاكم عام للبلاد ، وإنما وزّعت السلطة بعناية شديدة بين المشرفين علي الإدارة والشئون العسكرية والشئون المالية "

سحق الإمبراطورية الفارسية

وبعد أن فرغ الإسكندر من تنظيم أحوال مصر وبعد بقاءه بها حوالي ستة أشهر ، غادرها في عام ٣٣١ ق م متجهًا إلي مدينة صور ، تمهيدًا للزحف إلي قلب الإمبراطورية الفارسية ، ولم يكن أمام الملك الفارسي بعد أن رفض الإسكندر عرضه السخي ، سوي أن يستعد للمواجهة العسكرية ، وقد التقي جيش الإسكندر مع الجيش الفارسي في عام ٣٣١ ق م عند جاوجميلا بالقرب من أربيل عند الموصل الحالية ، وفي هذه المعركة أحرز الإسكندر نصرًا باهرًا علي الملك دارا الثالث ، الذي ولي الأدبار صوب الشرق ، وهذه المعركة تُعتبر من أهم المعارك في تاريخ البشرية

ثم سرعان ما أدرك الإسكندر أن هذا النصر ليس كافيًا لإعلان سقوط الإمبراطورية الفارسية ، ما دام دارا الثالث علي قيد الحياة ، فقرر أن يتتبعه لإلقاء القبض عليه ، إلا أن رجال دارا تخلوا عنه ، وطعنه أحدهم تاركين إياه وحيدًا يعاني آلام الموت والذل وغدر الرفاق

وعثر عليه جنود الإسكندر وهو يحتضر في عربته الملكية ، فطلب منهم أن يشكروا الإسكندر للمعاملة الطيبة التي قدمها لأسرته التي وقعت في الأسر بعد معركة إسوس ، وعندما وصل الإسكندر إلي الموقع كان الملك الفارسي قد فارق الحياة ، فحرص علي إظهار احترامه لعدوه حتي اللحظات الأخيرة ، وألقي عباءته الملكية علي جثمان دارا ، وأمر بدفنه بطريقة تليق بالملوك ، كما أمر بإلقاء القبض علي القتلة لمعاقبتهم

هكذا سقطت الإمبراطورية الفارسية ، ودخل الإسكندر مدن الفرس العظيمة مثل سوسة وبرسبوليس ، وصار وهو في السادسة والعشرين سيدًا علي العالم

ولم ينس الإسكندر وهو في غمرة انتصاراته الهدف الذي خرج من أجله من بلاد الإغريق ، وهو الانتقام لشرف الإغريق الذي دنسه الفرس عند غزوهم لبلاد اليونان ، وإحراقهم لمدينة أثينا أعظم مدن الإغريق ، فأمر بإضرام النار في مدينة برسبوليس

واصل الإسكندر تقدمه في الإمبراطورية الفارسية ، التي كانت حدودها تمتد إلي الهند شرقًا ، وفي إقليم باكتربا "أفغانستان الحالية" تزوج من روكسانا Roxana إبنة حاكم هذا الإقليم ، وكان الإسكندر يريد من

زواجه بفارسية أن يكون ولي عهده ينتسب إلي الإغريق والفرس في وقت واحد فيتمتع بما يتمتع به صفات كلا الشعبين وهما في ذلك الوقت في تصوره أفضل وأقوي العناصر البشرية علي الأرض ، فيسهل عليه حكم العالم ، كما كان الإسكندر يعتبر أن مدينة بابل تتوسط العالم القديم كله ويجدر بها أن يتخذها عاصمة يحكم منها إمبراطوريته ودولته العظمي

ثم واصل الإسكندر سيره حتي وصل إلي إقليم البنجاب ووادي نهر السند ، وعند هذا الحد أدركت رجاله حالة من التعب والإعياء ، وطالبوه بالعودة إلي بلادهم

وحاول الإسكندر أن يتغلب علي معارضتهم فخاطبهم قائلًا :

– لقد أقتربنا من نهر الجانج وهو آخر أنهار الأرض ، ويجب ألا تتركوا أعمالكم الكبيرة "تصف تامة" حيث يسهل بعد ذلك الانقضاض عليها ويجب أن تتموها تمامًا ، إذ لا غاية للرجل الشجاع من عمله إلا بتحقيق هذا العمل علي أكمل الوجوه

ولكن جنود الإسكندر لم يجيبوه ، وأخذوا يتهامسون ، ويتكلمون من وراء ظهره ، ثم تقدم أحد كبار الضباط المقاتلين المشهود لهم بالكفاءة والإخلاص وكان اسمه (كويناس) واقترب من الإسكندر وقال له :

– إن ما حققته من انتصارات تحت رايتك ، والثقة الكبيرة التي أوليتها لي ، تجعلني أحب أن أصارحك بما يقوله رجالك ، فكلهم يحبونك ، ويخلصون لك ، ولكن أكثرهم قد مضي عليه أكثر من ٨ سنوات بعيدًا عن أهله ووطنه ، وأكثر الجنود ، الذين خرجوا معك في بداية حملتك منذ ثماني سنوات ، قد قُتِلوا ، ولولا الإمدادات المستمرة التي تجيئنا من اليونان ، والجنود الذين نستخدمهم في طريقنا ، لما بقي لنا جيش

ثم أخذ كويناس يُذكِّر الإسكندر ، بما لاقاه جنوده في قتال أعدائهم ، ومن ويلات الطبيعة القاسية في مناطق العالم المختلفة التي مروا بها

ثم قال له :

إن من حق هؤلاء الجنود ، بعد كل ما لاقوه ، وحققوه من أمجاد ، أن يعودوا إلي أوطانهم ، وأن يستمتعوا بها في حياتهم ، وإن من حقك أن تعود أنت أيضًا إلي وطنك وأن تلتقي بأمك وأهلك ، وأن ترعي شئون مملكتك التي تركتها طويلًا وأن تهنأ فيها وقتًا ، ثم تستطيع بعد ذلك أن تخرج لحرب جديدة

كان الإسكندر يستمع إلي ما يقوله كويناس وهو شارد الذهن ، ولسان حاله يقول : كيف لي أن أهنأ وحلمي لم يكتمل بعد

وعندما انتهي كويناس من خطابه ، ترك الإسكندر جنوده غاضبًا إلي خيمته ، فلازمها ثلاث أيام بلياليها .وفي اليوم الرابع ، جمع الأسكندر جنوده مرة ثانية . وقال لهم ، انه قد نزل على رغبتهم في العودة إلى أوطانهم . ولكن بشرطين . الأول هو ان يتموا اخضاغ إقليم (البنجاب) . والثاني هو أن يعودوا إلى بلادهم عن غير الطريق الذي جاءوا منه .

وكان الأسكندر قد قسم جيشه إلى ١٢ فرقة . أمر كلا منها بإقامة ضريح كبير لآلهة الاغريق الاثنى عشر المزعومة . وعلى رأسهم زيوس–آمون . وبدأ طريق عودته إلى بلاده ، باخضاع قبائل المالاوى والاوكزيدمكاي ، وقد وجد الاسكندر عند مهاجمته لقلعة القبائل الأولى سانجالا ، أن جنوده مترددين في مهاجمتها ، فتقدمهم بنفسه ، حاملا سلما طويلاً ، تسلق به جدرانها . ولم يكن يتبعه غير حارسه ليوناتوس ، وحامل درعه بوكيستاس ، وجندي واحد هو ابرياس .

وكان الأسكندر يحمي رأسه خلال تسلقه بدرعه القديم ، الذي كان قد اخذه من معبد البون بتروي . فلما بلغ قمة السلم ، ومن خلفه ليوناتوس وبوكيستاس وابرياس ، تخلصوا جميعا من مهاجميهم . وقفز أربعتهم الى داخل القلعة .

وقد أثار تقدم الاسكندر وأصحابه لمهاجمة القلعة . حماس جنوده . فتسابقوا جميعًا على السلم يتسلقونه ، ولكن تسابقهم ، وثقلهم الكبير على السلم ، أوقعه على الأرض . فأنكسر . وبقى الاسكندر وزملاؤه الثلاثة في داخل القلعة ، معزولين عن بقية الجنود الاغريق . وكشف انعكاس الضوء عن الدرع ، والريشتان اللتان كان يحملهما الاسكندر دائما على خوذته ، عن وجود الاسكندر وأصحابه في قلعة أعدائه . وقد تكاثر الجنود الهنود على الاسكندر وأصحابه ، فقاتلهم . ومع أنه قد قتل الجندي الأول منهم بسيفه . وأستطاع القضاء على جنديين آخرين ، أحدهما بالأحجار . فإن الهجوم عليه لم يتوقف .

وكان درع الاسكندر يضوي بشدة ، ويكشف عن مكانه ، حتى أن الجنود الهنود ، ظنوا من شدة الضوء الذي يحيط به ، ان الاسكندر قد غُلِّف بالضوء ، وأن ذلك الضوء يحميه من أعدائه فخافوا وامتنعوا عن مهاجمته بسيوفهم ! .

ثم أخذ الجنود الهنود يوجهون للاسكندر وأصحابه ، سيلا من سهامهم دون الإقتراب ، وقد أصاب أحد هذه السهام ابرياس في وجهه ، وقتله على الفور وأصاب سهم آخر الاسكندر في صدره . وفجر الدم من رئته ، وأخذ الدم ينبثق غزيراً ، ومختلطاً بهواء رئته . حتى أُغمي على الاسكندر . ووقع على الأرض . بينما حاول ليوناتوس وبوكيستاس أن يدفعا سهام المهاجمين عن الاسكندر بدرعه .

وفي هذه الأثناء كان بقية الجنود الإغريق قد نجحوا في تسلق السور ودخلوا القلعة ، وقد أسرعوا إلي مكان الإسكندر واشتد القتال وسيطروا علي الموقف

وهكذا تم انتصار الإسكندر وجيشه وأخضعوا البنجاب وبالتالي تم تحقيق الشرط الأول للعودة ، وتم معالجة إصابة الإسكندر بعد نزع السهم من صدره وأحضروا له محفة لينقلونه عليها إلي خيمته ولكنه أصر علي امتطاء جواده ، وبعد فترة راحة وعلاج واستجمام تعافي الإسكندر إلي حد كبير

وعلي الرغم من حالة الإحباط التي سيطرت علي الإسكندر من جراء طلب رجاله ، فإنه اضطر إلي الإذعان لهم خاصة بعد انتصارهم وتنفيذ ما طلبه منهم ، وقرر تقسيم قواته في طريق العودة إلي قسمين يعود أحدهما عن طريق البر تحت قيادته ، بينما يعود القسم الآخر بحرًا

وطلب من رجاله أن يقتدوا به ويتزوجوا من نساء فارسيات ، لينجبوا أجيالًا فريدة من الشعبين ، ثم مكث الإسكندر في بابل التي قرر أن يتخذها عاصمة لإمبراطوريته الشاسعة ، وبدأ في التخطيط والإعداد لشن حملات عسكرية علي بلاد العرب ، كما قام بتنظيم الإمبراطورية ومتابعة أعمال الولاة المنتشرين في أنحاء الإمبراطورية الشاسعة

الوفاة المفاجئة :

وفي شهر يونيو من عام ٣٢٣ ق م ، أُصيب الإسكندر بالحمي ، وعلي الرغم من مرضه كان مستمر في تجهيز أحد الحملات العسكرية علي بلاد العرب بقيادة أحد قادته ويُدعي نيارخوس وكان العمل يجري علي قدم وساق ، وفي مساء اليوم العاشر من شهر يونيو عام ٣٢٣ ق م أسلم الإسكندر الروح ، ولم يكن قد بلغ الثالثة والثلاثين من عمره ، بعد أن حكم لمدة اثني عشر عامًا ونصف ، وسبحان الحي الذي لا يموت ومات الإسكندر وهو في ريعان الشباب وقمة المجد وأوج القوة وحوله جنوده وقادته وكما يقول الشاعر

ذَاقَ الحِمَامَ فَلَمْ تَدْفَعْ عَسَاكِرُهُ – عَنْهُ القَضَاءَ وَلاَ أَغْنَاهُ مَا جَمَعَا

وكانت زوجته الفارسية روكسانا حامل ولم تلد بعد ، ولم يكن قد تمكن بعد من تأسيس أسرة حاكمة ينتقل فيها الحكم بشكل مستقر بولاية العهد ، بل إنه بعد اغتيال والده قد أمر بقتل من لهم صلة بالعرش من عائلته ، ولم يكن يعلم أنه بذلك قد قام بقتل حلمه بتوحيد العالم تحت قيادة واحدة ، وكانت أمه قد قامت بقتل ابن فيليب من زوجته المفدونية ، فأصبح الإسكندر ينتمي إلي عائلة ليس بها أمراء مطالبين بالعرش ، ومات فجأة ، ولم يترك سوي مجموعة من القادة يظن كل واحد منهم أنه لا يقل عن الإسكندر ، بل كان بعضهم يحقد عليه ، ويتمني أن يصبح مكانه

وكان القائد برديكاس قد سأل الإسكندر وهو علي فراش الموت

– لمن سيكون إرث الإمبراطورية بعدك

فرد الإسكندر قائلًا :

– للأقوي منكم

مات الإسكندر وترك إمبراطورية ضخمة مترامية الأطراف ليس لها صاحب ، وترك حلمًا لم يكتمل

فكان من الطبيعي والحال هكذا أن يتم تقسيم الإمبراطورية علي القادة ، فقد أصبحوا هم ورثته ، فقادة الجيوش هم ورثة من لا ورثة له

ولن يقنع كل منهم بنصيبه وسيدخلون في صراع دموي ومعارك شرسة ليوسع كل منهم دولته ، وليصبح إسكندر أكبر جديد ، ناسين أو متناسين أنها ملكات ومواهب خاصة لا يحظي بها الجميع

ولكن كيف حدث كل هذا بعد وفاة الإسكندر ؟

بالتأكيد لم يحدث كل هذا فور وفاة الإسكندر ، فلم يجرؤ أحد من القادة علي إعلان استقلاله عن باقي الإمبراطورية ، بل تطورت الأمور شيئًا فشيئًا إلي أن أصبحت أمر واقع

فاجتمعوا في بابل ليتباحثوا فيما يجب عمله

فقاموا بالاتفاق علي انتظار ولادة زوجة الإسكندر لتسليم الإمبراطورية لمن ستنجبه وعقدوا مجلس وصاية علي العرش ، ولكن كان هذا هو الاتفاق المعلن ، أما الاتفاق الحقيقي الغير معلن والذي حدث بالفعل فلا يمت بصلة لهذا الاتفاق ، فقد قاموا بتقسيم الإمبراطورية علي أنفسهم بل وقاموا بتحديد الحدود لكل دولة كما قاموا بحل مشاكل ترسيم الحدود فيما بينهم

انهيار الحلم بعد الجريمة البشعة :

اتفق القادة إذن وحصل كل منهم علي نصيبه من الإمبراطورية أو (التركة) ، أو الكعكة العالمية أو الحلم الكبير الذي قرروا أن يضعوا بأيديهم نهايته

واتفقوا علي كل شئ وعلي أدق التفاصيل ووقّعوا جميعًا علي ما اتفقوا عليه كي لا يختلفوا ولكنهم اختلفوا رغم ذلك ، وكان الاتفاق يتضمن أن يتنازل بطليموس (حاكم مصر) عن جوف سوريا ، سبب الصراع مع مملكة سليوكوس المقدونية الجارة ، في سوريا وبابل

وأن يعترف انيتجونوس "(حاكم آسيا الصغري)" بزعامة كاساندروس ، رفيق السلاح المقدوني ، علي اليونان ومقدونيا ، حتي يبلغ ابن الإسكندر "من زوجته الفارسية روكسانا" والمسمي باسم : الإسكندر الرابع ، سن الرشد ، وتم التوقيع علي هذه الإتفاقية ، الودية ، بأسمائهم ووصفهم لأنفسهم بأنهم : "القائمون علي الأمر"وتأريخ وثيقة الاتفاق باسم : الملك الطفل الإسكندر الرابع

إذن حتي ذاك التاريخ ، أي عام ٣١١ ق م ، لم يجرؤ حاكم مقدوني علي أن يعلن استقلاله بالإقليم الذي يحكمه ، وكانوا قد ارتأوا ترك الأمور تجري في أعنتها وأكتفوا بالتمتع بالإمتيازات الجمة داخل ولاياتهم ، والسلطة اللامحدودة لهم ، حتي كانت الشرارة التي أبطلت مفعول الاتفاقية السابقة ، بعد توقيعها بعام واحد وذلك عندما أقدم كاساندروس ، حاكم مقدونيا واليونان ، والأمين علي عرش الإسكندر ، والوصي علي بلوغ الإسكندر الرابع سن الرشد !! ، علي أعظم جريمة سياسية ، ذات أطماع شخصية بحتة ، إذ قتل ابن الإسكندر ، الملك الطفل ، وكذلك أمه !! ، وهكذا انتهت أسرة الإسكندر الأكبر نهائيًا عام ٣١٠ ق م ، بعد ما لا يزيد عن "١٣" عامًا من وفاة صاحب الإمبراطورية المقدونية العالمية ، وهكذا ، أيضًا كان الوفاء المقدوني من القادة لقائدهم ، وصاحب الفضل الأول عليهم جميعًا !

ولم يكن ذلك التاريخ هو نهاية الصراع بين ورثة عرش الإسكندر وبين القادة المقدونيين ، لأن إرادة الله قضت بألا يترك الإسكندر عند وفاته وصية محددة يعين فيها من يخلفه

بل الحق يقال أن بداية صراعهم كانت غداة وفاته وظلت قرابة نصف قرن

"وسرعان ما أفضت المنافسة المسلحة بينهم إلي ذلك الصراع الذي بدأ في عام ٣٢١ ق م واحتدم مدة تزيد علي الأربعين عامًا وتمخض عنه فصم عُري الإمبراطورية المقدونية وقيام ثلاث ممالك علي أنقاضها ، وقد ساعد علي بلوغ هذه النتيجة أن الإمبراطورية كانت تتألف من أجزاء غير متجانسة ، لم يكن يربط بعضها ببعض إلا قيام سلطة مركزية موحدة ، وبمجرد انقسام هذه السلطة علي نفسها ساعد علي تقطيع أوصال الإمبراطورية تضارب المصالح واختلاف العادات والحضارة"

وهكذا تكاتفت عوامل كثيرة لانهيار إمبراطورية الإسكندر ، من بعده ، منها عدم تجانس أنحاء الإمبراطورية الواسعة من ناحية العناصر السكانية واختلاف الحضارات داخلها ، إلي حد التناقض ، بين شرقية وغربية ، واختلاف الورثة فيما بينهم وزيادة أطماع كل منهم وتضارب مصالحهم ، وعدم حرص الخلفاء ، في ممالكهم "وبخاصة في مصر وسوريا " علي إقامة دول قومية ، بمشاركة السكان الأصليين ، والتأكيد علي

الحكم الوراثي المقدوني ، بين أفراد البيت الحاكم للأسرة المؤسسة ، وكذلك تفاوت أعداد وقدرات الجنود المقدونيين في جيش كل مملكة مقدونية علي حده ، مما أوضح وأظهر نقاط الضعف والقوة لكل منها

واتخاذ القتل وسيلة سريعة لتحقيق المصالح والمطامع ، وكذلك اتخاذ الزواج السياسي وسيلة لضمان التحالفات السياسية

وكان علي المقدونيين الاختيار بين أسلوب الحكم في بلادهم وأسلوب الحكم في بلاد الشرق ، فاختاروا بالطبع أسلوب الحكم في بلاد الشرق وخاصة في مصر ، حيث يصبح الحاكم فرعون له قدسية دينية خاصة

المحسود المحظوظ

فتح الإسكندر الأكبر الشرق القديم ، غازيًا له ، وزاد علي ذلك بأن وصلت قواته إلي حدود الصين ، مما يُسقِط دعواه بأنه قد جاء لتأديب الفرس ، لقد حقق الاسكندر بفتوحاته الواسعة أكبر إمبراطورية عالمية ، في التاريخ كله ، تحت زعامة قائد شاب لم يبلغ –عند وفاته – الثالثة والثلاثين من عمره ، وكما حسده العالم أجمع ، ولا سيما رفاقه وزملاء السلاح ، في حياته ، حتي قادهم الحقد والحسد إلي تدبير المؤامرات لقتله ، فإن كثيرًا من الناس قد عدّوه محظوظًا ، حتي في وفاته ، لأنه –في نظرهم– قد مات في أوج انتصاراته ، وقمة مجده ، وقبل أن يواجه العبء الحقيقي لتنظيم إمبراطوريته المترامية الأطراف

وقد تمزقت الإمبراطورية علي أيدي قادته ورفقاء السلاح الذين تركوا نظام الحكم المقدوني واختاروا نظام الحكم الشرقي

ذلك لأن تعيين الملك في النظام المقدوني كان حقًا مطلقًا للجيش المقدوني وحده ، وليس وراثيًا ، بينما آنئذ في الشرق القديم ، كان النظام الملكي ، مطلقًا ووراثيًا ، وإلاهيًا ، فهل بعد كل ذلك من حسنات ، ولماذا لا يأخذ به القادة المقدونيون وهو يحقق ويضمن لهم كافة أطماعهم واستقرار سلطانهم ؟ !!

الحقيقة المخزية والفاضحة لأطماع الفاتحين ، الذين تناسوا أعراف بلادهم وتقاليدهم وضربوا بها عرض الحائط ، عند أول اختبار حقيقي لنواياهم ، إنها حقيقة النفس الإنسانية الأمارة بالسوء دائمًا ، ولا سيما لو كانت طامعة وحاقدة وسارت آلاف الكيلومترات ، انتظارًا وشوقًا لمثل ذلك اليوم ، يوم السيادة والتحكم ، فماذا تنتظر منهم إذن ؟!!"

حقًا لقد وجد خلفاء الإسكندر ضالتهم المنشودة في نظام الحكم الشرقي : الملكي –المطلق– ومن ثم أخذوا به ، وأصبحوا هم الدولة ذاتها ، يملكون كل شئ : ما علي الأرض ، ومن علي الأرض ، ويتصرفون في

كل شئ ، في كل الأوقات ، وبكافة الطرق والوسائل التي تروق لهم ، هذا ، بالإضافة إلي درجة أخري من التكريم والتبجيل ، لم تعرفها مقدونيا ولا اليونان طيلة تاريخهما ، وهي التأليه ، فقد ضمن الملوك المقدونيون في الممالك الآسيوية وفي مصر ذلك لوجوده عندهم من القديم

وفي مصر ، تحديدًا كان الملك البطلمي ، ملكًا ، وفرعونًا وإبن إله ، بالرغم من أنه ، من الناحية الأسمية البحتة كان يُسمي ، قبل عام ٣٠٥ ق م "نائب الملك" ، إلا أنه بعد ذلك أصبح الحاكم يُسمي بالملك ، الإله ، ابن الإله ، وكان هو الرئيس الفعلي للبلاد سياسيًا ، وعسكريًا ،ودينيًا ، واجتماعيًا

المحتويات

Contents

النشأة ٣

الحلم : ٣

فيليب يحقق حلمه ٩

اغتيال فيليب : ١٠

الإسكندر علي العرش ١٢

الخطوة الأولي في طريق تحقيق الحلم : ١٤

القرار الحاسم : ١٦

ميلاد الإسكندرية ١٦

موظف كفء أم داهية..... ١٩

سحق الإمبراطورية الفارسية ٢١

الوفاة المفاجئة : ٢٤

انهيار الحلم بعد الجريمة البشعة : ٢٥

المحسود المحظوظ..... ٢٧

المحتويات..... ٢٨

الكتب والمراجع

تم كتابة الرواية بفضل الله ثم بالاستعانة والاقتباس من الكتب والمراجع الآتية بعد :

- كتاب (دراسات في العصر الهللينيستي) للدكتورة فادية محمد أبو بكر –أستاذ مساعد التاريخ القديم – كلية الآداب–جامعة الإسكندرية –الناشر دار المعرفة الجامعية–طبعة ١٩٩٨
- كتاب (تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان)–تأليف د أبو اليسر فرح –كلية الآداب جامعة عين شمس –الطبعة الأولي ٢٠٠٢–عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
- كتاب (تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان–سلسة قراءات في التاريخ القديم "٣"–"موضوعات مختارة"–تأليف د محمود إبراهيم السعدني) –استاذ التاريخ والحضارة اليونانية –الرومانية–كلية الآداب
- كتاب (عالم الإسكندر الأكبر)– تأليف كارول جي توماس – ترجمة خالد غريب علي –الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
- كتاب (الإلياذة) تأليف هوميروس– ترجمة سليمان البستاني –الناشر (كلمات عربية للترجمة والنشر)
- كتاب (الإسكندر الأكبر) عن دراستي فوكس وبيرن – من سلسلة "أعلام ومشاهير"باشراف الدكتور رءوف سلامة موسي –بدار ومطابع المستقبل– الناشر دار ومطابع المستقبل بالفجالة والإسكندرية – ومؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت
- كتاب مختارات من شخصية مصر ٣ للدكتور جمال حمدان – مكتبة مدبولي